صغائر الذنوب وخطورتها على الأفراد والمجتمعات كما يصورها القرآن والسنة (دراسة تحليلية)

Minor sins and their danger to individuals and societies as depicted in the Qur'an and Sunnah (Analytical study)

م.د. عمر حاتم حمد
Lect.Dr. /Omer Hatm hamad
E.mail/ helam hg7040@gmail.com
م.د. دنيا ياسين عبد
Lect.Dr.Dunya Yaseen Abed
Email; dunyayasin3@gmail.com

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

ملخص البحث

هذا البحث عبارة عن دراسة لموضوع صغائر الذنوب وجسامة ضررها على الأفراد والمجتمعات، وذلك أن كثيراً من المسلمين اليوم نجدهم يستهينون بها بالرغم من خطورتها سواء أكانوا يعلمون أم يجهلون عظمة التهاون فيها .

وقد تناول البحث موضوع الاستمرار في ارتكاب الصغائر والاستخفاف بها وما ينتج عن ذلك من أثر سلبي ينعكس على سلوكيات الأفراد واستقامتهم، فقد يفتح ذلك المجال لارتكاب الكبائر.

وقد توصل البحث إلى أن الإصرار على الصغيرة والاستهانة بها يصيرها كبيرة عند الله عزوجل، كما أن تكرارها والإكثار منها يحدث ظلمة في القلب ويضعف الإيمان ويسوء الخاتمة، وهنا تكمن أهمية البحث في أن اجتناب الصغائر يأخذ بيد الفرد إلى طريق الهدى والصلاح، ويسمو به إلى محبة الله ورضوانه.

الكلمات المفتاحية: الذنوب، الصغائر، الكبائر .

References

This research is a study of the subject of minor sins and the enormity of their harm to individuals and societies, because many Muslims today find themselves underestimating them despite their seriousness, whether they know or are ignorant of the greatness of their negligence in them. The research addressed the issue of continuing to commit minor sins and belittling them, and the resulting negative impact that is reflected in individuals' behavior and integrity, as this area has lost the scope for committing major sins. The research has concluded that insisting on small things and underestimating them makes them big in the sight of God Almighty, and repeating and multiplying them causes darkness in the heart, weakens faith, and worsens the ending, and here lies the importance of the research in that avoiding small things takes the individual's hand to the path of guidance and righteousness, and elevates him to God's love and satisfaction. Keywords: sins, minor sins, major sins.

Keywords: Sins, Minor Sins, Major Sins.

.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

يُعد موضوع التفسير من أهم المواضيع التي ينبغي للباحثين والدارسين الاهتمام بهِا، ومن هنا كان الإلمام بعلوم التفسير كاللغة وفروعها والبلاغة وأنواعها والفقه واصوله والحديث الشريف وشرحهِ والسيرة النبوية المطهرة وبقية العلوم التي يحتاج اليه المفسر التي لا بدمنها للوصول الى التفسير الصحيح.

وقد ركز العلماء السابقون على التفسير التحليلي، وظهرت مئات التفاسير التحليلية للقرآن الكريم فقدم أصحابها مؤلفات عديدة المعاني القرآن وأحكامه وعلومه وحقائقه جزاهم الله عنا خيراً.

لكن ظهر حديثاً طريقة جديدة في التفسير الا وهو المنهج الموضوعي وابدع فيه الباحثون والدارسون، فظهرت موضوعات متعددة المتعددة لمعاني القرآن العظيم وعلومه، وصدرت منه بحوث متعددة كانت ترحيباً من العلماء المفسرين بجهد وتفانٍ.

تُصور السنة النبوية صغائر الذنوب كعوامل "إهلاك خفية" تتراكم تدريجياً لتدمر الفرد وتفكك المجتمع، وتبرز خطورتها في شتى الجوانب.

ومن هنا كانت الرغبة بالكتابة في هذا الموضوع لأهميته العظيمة، فجاء بعنوان (صغائر الذنوب وخطورتها على الأفراد والمجتمعات كما يصورها القرآن والسنة).

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على "المسكوت عنه" في السلوك اليومي، حيث أصبحت محقرات الذنوب مدخلاً رئيساً لظهور الكبائر وتآكل القيم الأخلاقية. كما تبرز أهميته في الربط بين استقامة الفرد النفسية وبين أمن المجتمع القائم على تعظيم شعائر الله وحرماته، وحماية المجتمع من "تطبيع المعصية" التي تبدأ صغيرة ثم تستشري.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في حالة "الاستهانة واللامبالاة" التي سادت لدى الكثيرين تجاه صغائر الذنوب، وغياب الوعي بآثارها التراكمية التي تطمس بصيرة الفرد وتضعف هيبة المنظومة التشريعية في المجتمع. ويسعى البحث للإجابة عن التساؤل: كيف تتحول الصغائر من هفوات عابرة إلى مهددات وجودية للأفراد والمجتمعات من منظور الوحيين؟

أهداف البحث:

تأصيل مفهوم صغائر الذنوب (اللمم والمحقرات) وتوضيح معايير التمييز بينها وبين الكبائر وفق الأدلة الشرعية، والتعرف على موضوعات آيات الذنوب وذلك باستقراء الآيات الكريمة من حيث ما يتصل بها من موضوعات، وبيان الآثار التربوية والنفسية المترتبة على الإصرار على الصغائر،

وكيف تؤدي لقسوة القلب وانحراف السلوك، وتحليل الانعكاسات الاجتماعية لانتشار الصغائر، مثل ضياع الحقوق العامة وزوال البركة وظهور الجرأة على الكبائر، مع تقديم منهج وقائي من خلال نصوص القرآن والسنة لكيفية التعامل مع الصغائر وتطهير النفس والمجتمع منها عبر التوبة والرقابة الذاتية.

منهجية البحث:

وقد اتبعنا في هذه الدراسة طريقة البحث العلمي المتجرد، والمنهجية المنظمة التي تسعى للتوصل إلى نتائج موثوقة وصحيحة. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، وكما يأتي:

المقدمة: وفيها سبب اختيار الموضوع والهدف من هذا البحث، ومنهجية البحث.

المبحث الأول: وفيه تعريف الصغائر والذنوب في اللغة والاصطلاح والألفاظ ذات الصلة، آيات الصغائر في القرآن الكريم، ومشتقات (الصغائر) .

المبحث الثاني: وفيه موضوعات الصغائر في القرآن،أسبابها،خطورتها على الأفراد والمجتمعات.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ولا ندعي الكمال في هذا البحث إذ الكمال إلا لله، فإن كان فيه من صواب فمن الله تعالى، وما كان فيه من خطأ فمنّا ومن الشيطان، ونستغفر الله العظيم ونتوب إليه، وفي الختام نرجو أن نكون قد وفُقنا في هذا البحث، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثان

المبحث الأول

الصغائر، مفهومها واشتقاقاتها

تمهيد:

قبل الخوض في تعريف مفهوم الصغائر لابد لنا أن نُعرف الذنوب وأقسامها بوجه عام .

تعريف الذنوب لغةً: الذنوب جمع ذنب، والذنب: هو الأثم والجرم. والجمع الذنوب، وذنب الرجل أتباعه، والنابع للشيء على إثره، وذناب كلِ شيءٍ: عقبهُ ومؤخره. (١)

تعريف الذنوب اصطلاحاً:هي كلُ فِعل يحجبك عن الله تعالى(٢)، أو كلُ فعلٍ تُستوخم عاقبتهُ.(٣)

المطلب الأول: مفهوم الصغائر في اللغة والاصطلاح

الصغائر في لغة: اللغة من صغر الشيء، فهو صغير، وجمعها صغائر وصغار، وهي صفة، والصغائر لا تجمع الا في السيئات والذنوب والاثام. (٤)

الصغائر في الاصطلاح: تنوعت أقوال العلماء في تعريف مفهوم الصغائر، وإن كانت أقوالهم متفقون على معانيها، فقد قال بعضهم: أن الصغيرة ما لم تكن فيها حدٌ في الحياة الدنيا ولا عقوبة في الآخرة، فهي إذن في مقابلة الكبائر (٥)

وأقسام الذنوب اثنان، هي:كبائر، وصغائر .

وهذا التقسيم مأخوذ من نصوص الكتاب والسنة، فمن الكتاب: قوله جل شأنهُ: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ (٦).

---

(١) ينظر: لسان العرب: لابن منظور(ت٧١١ه)، دار صادر، بيروت،ط ٣، ١٤١٤ه،٣٨٩/١، مادة (ذنب) .

(٢) التعريفات: للإمام الجرجاني (ت٨١٦ه)، ضبط وتصحيح: جماعة من العلماء بأشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م: ص١١٧.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤف المناوي (ت٩٥٢هـ) تحقيق: الدكتور عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م: ص١٧١.

(٤) ينظر: لسان العرب ١/ ٣٨٩، والموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة من وزارة الأوقاف الكويتية، مطابع دار الصفوة، مصر ١٧/٢٧، وصحيح المصطلحات والألفاظ الفقهية: الدكتور محمود عبد الرحمن، دار الفضيلة: ٣٧١/٢، والمعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية بالقاهرة، احمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٢ه ١٩٧٢م: ص٥١٥.

(٥) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: أبي العز الدمشقي (ت ٧٩٢ه)، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان، ط٢، ١٤١١ه–١٩٩٠م: ص٥٢٦.

(٦) سورة الكهف / الآية ٤٩ .

وفي السنة: قوله (عليه الصلاة والسلام): ((صَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ))[١].

الكبائر: وهو كل فعلٍ أو قول يوجبُ حداً في الدنيا ووعيدٌ في الآخرة. [٢]

وما بيناه من مفهومي الكبائر والصغائر، يرجع في الحقيقة الى اقسام الذنوب التي هي على محل اختلاف العلماء، فقد ذهب جمهورهم إلى أقسام الذنوب بنوعيها الصغائر والكبائر وأن بينها تفاوت في ذاتها فهناك كبيرةٌ وهناك. أكبر، وفيها صغيره وهناك أصغر، وعليه فأن الذنوب تتفاوت بحسب ذاتها ومفاسدها.

فقد ذكر ابن حجرالعسقلاني: بأن كل من الصغائر والكبائر قد تختلف بحسب تفاوت مفاسدها.[٣]

أهم الألفاظ ذات الصلة بالموضوع:

١. **الإثم:** تقول: أثم الرجل إثماً ومأثماً اذا وقع بالإثم، والآثام: جزاء الإثم. [٤]

وقد ورد في الحديث الشريف قوله (صلى الله عليه وسلم): ((البِرُّ حُسنُ الخُلُق، والإِثْمُ ما حاكَ في صدْرِكَ، وكرِهْتَ أنْ يَطلِعَ عليه الناسُ)). [٥]

٢. **الخطيئة:** الخطيئة والخطايا، هي ما يعظم من الذنب ومخالفة للشريعة الإلهية، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾[٦]. [٧]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٣)، ١/ ٢٠٩.

(٢) ينظر: العدة في أصول الفقة: لأبي يعلى البغدادي الحنبلي (ت٤٥٨ه)، حققه وعلق عليه وخرج نصهُ: الدكتور أحمد بن علي بن سير المباركي، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١٠ه، ١٩٩٠م: ٩٤٦/٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ه) رقم كتبه وابوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ: ٢٦٣/٥.

(٤) ينظر: الصحاح تاج اللغة العربية: للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) تحقيق احمد عبد الغفور عطاء، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧م: ١٨٥٧/٥.

(٥) جزء من حديث رواة الامام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، رقم الحديث(٢٥٥٣):٤/ ١٩٨٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٥٨.

(٧) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عبد الحميد (ت ١٤٢٤ه) يساعده فريق عمل، عالم الكتب -ط١، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م، ٦٥٩/١.

٣. **السيئة**: "ما يسوء من جهة نفور طبع أو عقل وقيل الفعلة القبيحة"[١]،أو "ما يتعلق الذم في العاجل والعقاب في الآجل"[٢]، كقوله تعالى:﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

٤. **المعصية**: هي خلاف الطاعة ومن يفعلها سمي عاصيا،والذي يعصي الآله فهو عاصٍ ومخالف لامر ربه ولم يطعهُ. [٣]

والمعاصي تشمل الكبائر كـــ (الشرك بالله والزنى والقتل بغير حق وغيرها ...)، وأما الصغائر كـــ(النظرة المحرمة أو الكلمة البذيئة)، كقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [٤].

٥. **اللمم**: هي الذنوب الصغيرة التي يرتكبها الانسان من غير الإصرار عليها، ومن غير تعمد على ارتكابها، كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾. [٥]

٦. **الخطأ**: هو الزلل والانحراف، ويقصد به: الفعل غير المقصود، اي غير المتعمد، مثاله (إتلاف مالٍ من دون نية مسبقة، او قتل شخصٍ من غير قصدٍ أو تعمدٍ، كقوله تعالى:﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [٦].

٧. **النسيان**: هو الغفلة عن الشيء وعدم تذكره، كانشغال الذهن او خلل في الذاكرة، كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [٧] .

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف: عبد الرؤوف بن المناوي (٩٥٢ - ١٠٣١ هـــ)المحقق: د عبد الحميد صالح حمدان: عالم الكتب، القاهرة –مصر ط١، ١٤١٠ هـــ - ١٩٩٠م: ص٢٠٠.

(٢) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: قاسم بن عبد الله القونوي الرومي الحنفي (ت ٩٧٨هـــ) تحقيق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـــ: ص٣٢.

(٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس / لمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ه)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية ٥٨/٣٩.

(٤) سورة آل عمران / الآية: ٢١.

(٥) سورة النجم / من الآية ٣٢ .

(٦) سورة الأحزاب/ الآية ٥.

(٧) سورة البقرة / من الآية ٢٨٦.

المطلب الثاني: آيات الصغائر في القرآن الكريم .

الصغائر في القرآن الكريم هي الذنوب التي تعتبر أقل إثماً من الكبائر، وهي قابلة للمغفرة بالاستغفار والتوبة والأعمال الصالحة، ولا يوجد نص صريح في القرآن الكريم يحدد قائمة محددة بالصغائر، ولكن العلماء استنبطوا ذلك من خلال النصوص التي تتحدث عن الذنوب وعقوباتها وقد نص عليها سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، منها:

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (١).

ويشير الإمام أبو زهرة في تفسيره إلى أن الإنسان مجبول على النقص، فالدعاء بطلب عدم المؤاخذة على النسيان والخطأ هو طلب للتجاوز عن "الهفوات" التي قد لا يلقي لها العبد بالاً (وهي الصغائر)، فاستجاب الله للعبد رفعاً للحرج عن الأمة . (٢)

ومنها: قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾. (٣)

ومنها:﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾(٤)

يرى المفسرون (كابن عباس وابن كثير) أن "اللمم" في آية النجم هي صغائر الذنوب التي تقع من العبد دون إصرار. ويؤكدون أن الله جعل اجتناب الكبائر شرطاً لتكفير الصغائر تلقائياً بفضل الله، لقوله: {نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}. فالصغائر هنا هي السيئات التي تُغمر في بحار الحسنات واجتناب الموبقات. (٥)

ومنها: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾(٦)

أجمع المفسرون على أن مقصود السيئات في هذا الموضع هو "صغائر الذنوب" أو "اللمم"؛ لأن الآية تتحدث عن المتقين الأبرار (الذين برّوا والديهم وقالوا ربنا الله)، وهؤلاء ديدنهم اجتناب الكبائر، فبقي من عملهم الهفوات والزلات الصغار التي لا ينفك عنها بشر، فوعد الله بالتجاوز عنها. (٧)

---

(١) سورة البقرة / من الآية ٢٨٦ .

(٢) ينظر: تفسير أبو زهرة: ٢/ ١٠٩٠ – ١٠٩١.

(٣) سورة النساء من الآية ٠٣١

(٤) سورة النجم / من الآية ٣٢.

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤٠٤/٢-٤١٠، ٤٦٠/٧.

(٦) سورة الاحقاف / الآية ١٦.

(٧) ينظر: ابن كثير: ٢٨١/٧، والطبري: ١٠٠/٢٢.

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾[١]

أجمع المفسرون على أن قوله {وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} يراد به صغائر الذنوب، فالتقوى (وهي اجتناب الكبائر) هي الشرط الإلهي لتكفير الصغائر تلقائياً.[٢]

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[٣].

يرى أبو زهرة أن النفس البشرية لا تخلو من "هفوات" (صغائر)، ولو حُوسب الإنسان على كل صغيرة لليئس. فجاءت القاعدة: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} لتجعل من "العمل الصالح" طاقة جارفة تمحو أثار الصغائر النفسية والاجتماعية. الإذهاب هنا ليس مجرد محو في الصحف، بل هو "تطهير للقلب" من الرّان الذي أحدثته الصغيرة[٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ ﴾[٥].

يرى المفسرون أن قوله تعالى {ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ} يدل على أن ترك هذه الصغيرة (النظر المحرم) يورث القلب طهارة ونوراً. ويؤكد أن المجتمع الذي يتساهل في صغائر "النظر" والتبذل ينهار فيه الحياء، مما يسهل انتشار الفواحش الكبرى. فالزكاء هنا هو النماء الخلقي الذي يبدأ بضبط الصغائر[٦].

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾[٧].

يذكر ابن كثير لفتة دقيقة؛ وهي أن الطغاة والعصاة عجبوا من إحصاء "الصغيرة" قبل الكبيرة. ونقل عن ابن عباس قوله: «الصغيرة هي التبسم (في غير حق)، والكبيرة هي الضحك». وهذا يدل على أن الإحصاء بلغ من الدقة مبلغه، مما يوجب على الفرد الحذر من "الهفوات" التي يظنها تافهة.[٨]

---

(١) سورة الأنفال / الآية ٢٩ .

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير:٤/ ٤٠.

(٣) سورة هود / من الآية ٠١١٤

(٤) ينظر: زهرة التفاسير: ٣٧٤٨/٧.

(٥) سورة النور: الآية ٣٠.

(٦) ينظر: زهرة التفاسير: ٤٤٦١/٩.

(٧) سورة الكهف / من الآية ٤٩

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير:٥/ ١٧٩.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾[١]

أن رفع الصوت في غير حاجة هو خروج عن "الوقار" وإيذاء للمحيطين. ووأن هذه السلوكيات وإن بدت "صغيرة" في نظر الناس، إلا أنها تخدش مروءة الفرد وتؤذي المجتمع. والتشبيه بصوت الحمير هو لبيان قُبح هذا السلوك وتنفير المؤمن من استصغاره. [٢]

ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾[٣]

يفسر الطبري "الامتحان" هنا بـــ التخليص والتنقية؛ أي أن الله نقّى قلوب هؤلاء من دنس المعاصي وصغائر الأخلاق (كالغرور والجهالة)، وجعلها خالصة للتقوى. ويستنتج من ذلك أن المؤمن الذي يراقب "صغائر أدبه" مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع السنن، هو من نجح في اختبار التقوى.[٤]

ومنها: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ ﴾[٥].

أن "كراهة المعصية" هي صمام الأمان. فخطورة الصغائر تبدأ عندما يزول "استقباحها" من القلب. إذا كره العبد "العصيان" (الصغائر)، فإنه يظل في دائرة "الرشد". أما إذا استمرأها، فإنه ينتقل من العصيان إلى الفسوق. [٦]

ومنها:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾[٧].

أن "تكفير السيئات" هنا هو الثمرة المباشرة لاجتناب الكبائر والقيام بالفرائض (التقوى). ويؤكد أن "السيئات" التي يُكفرها الله بالتقوى هي صغائر الذنوب واللمم التي تقع من العبد في حال غلبة التقوى على جوارحه، فالتكفير يعني "المحو والستر" بحيث لا يطالب بها العبد يوم القيامة. [٨]

---

(١) سورة لقمان / الآية ١٩.

(٢) ينظر: زهرة التفاسير: ٥٩٥٨/١١.

(٣) سورة الحجرات / الآية ٣.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٨٨/٢٢ – ٢٩٠.

(٥) سورة الحجرات / الآية ٥.

(٦) ينظر: زهرة التفاسير: ٥٧٤٩/١٣.

(٧) سورة الطلاق / من الآية ٧.

(٨) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٦٦/٢٣.

المطلب الثالث: مشتقات الصغائر

وردت مفردة (صغر) في القرآن الكريم بصيغ واشتقاقات متعددة، بلغت سبعَ مفردات وهي: (صاغرون، صاغرين، صغير، صغيرة، أصغر، صغائر) متفرقةٌ بين سور القرآن الكريم المكية منها والمدنية، واغلبها في السور المكية، وتباعاً بيان ذلك:

١. **صاغرون**: كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾[١] وكقوله تعالى: ﴿ وَلَنُخۡرِجَنَّهُمۡ مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾[٢].

إن مشتق (صاغرون) في القرآن هو التحذير الأخير؛ فكل صغيرة يصر عليها الإنسان تضعه في طابور الصاغرين يوم القيامة، لأن العبرة ليست بصغر الذنب، بل بعظمة من عُصي، ومن استهان بالعظيم صار صاغراً[٣].

٢. **صاغرين**: كقوله تعالى: ﴿ فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ ﴾ [٤].

وكقوله تعالى: ﴿ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ ﴾ [٥]

وكقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [٦]

أن "الصاغرين" هم أهل "الصَّغار"، وهو الذل والقماءة والمهانة. وفي قصة إبليس، يذكر الطبري أن إبليس استصغر أمر الله بالسجود (وهو أصل المعصية)، فكان جزاؤه أن صار من "الصاغرين، ومشتق (صاغرين) هو "الثمرة المرة" لكل استهانة بحدود الله؛ فمن لم يعظم ربه في صغائر الذنوب، ألبسه الله ثوب الصَّغار وجعله من الصاغرين يوم القيامة.[٧]

٣. صغير: كما في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ ٥٣ ﴾[٨].

أن ذكر "الصغير" قبل "الكبير" في آيات الإحصاء أحياناً، أو اقترانهما معاً، يهدف إلى "قطع عذر المتعللين"؛ فالنفس تستهين بالصغير وتخشى الكبير، فجاء القرآن ليخبرنا أن ميزان الله لا يفرق في "التوثيق" بينهما. [٩]

---

(١)سورة التوبة: من الآية ١٩.

(٢) سورة النمل:من الآية ٣٧ .

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١١٤/١٠.

(٤) سورة الأعراف:من الآية ١٣.

(٥) سورة ال عمران من الآية ١٩.

(٦) سورة يوسف الآية ٣٧

(٧) ينظر: جامع البيان:٣٢٧/١٢ .

(٨) سورة القمر: الآية ٣٧

(٩) ينظر: زهرة التفاسير:٥٨٩٠/١٣ .

٤. صغيرا: كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾(٢).

في آية الدَّيْن يفسر الطبري "صغيراً" هنا بأنه الحق المالي القليل أو التافه في نظر الناس. ويشدد على أن الله نهى عن "السأم" (الملل) من كتابة الحق الصغير؛ لأن التساهل في "الصغير" يجر إلى ضياع "الكبي"(٣).

٥. صغيرة: كما في قوله تعالى:﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

وكقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾(٥).

أن ذكر (صغيرة) قبل (كبيرة) هنا يهدف إلى رفع شأن الأعمال اليسيرة في عين صاحبها وأن الإسلام يربي المسلم على أن "الصغير" عند الله له شأن؛ فدرهم حلال (صغير) يُنجي، وكلمة سوء (صغيرة) قد تهلك. (٦)

٦. أصغر: كما في قوله تعالى:﴿ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(٧).

أن ذكر (أصغر) يهدف إلى إقامة الحجة على "المستهينين" [١.٢]. فالنفس قد تظن أن الله يحاسب على "الكبائر" فقط، فجاء اللفظ ليثبت أن "الذرة" وما هو "أصغر منها" داخل في نطاق المسؤولية الجنائية الأخلاقية. (٨)

٧. صغار: كما في قوله تعالى:﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (٩).

---

(١) سورة البقرة: من الاية ٢٨٢

(٢) سورة الاسراء: من الاية ٢٤.

(٣) ينظر: جامع البيان٣/١٢١ .

(٤) سورة التوبة: من الاية ١٢١. .

(٥) سورة الكهف: من الاية ٤٩.

(٦) ينظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة: ٦/٣٥١٠ .

(٧) سورة يونس: من الاية ٦١.

(٨) ينظر: زهرة التفاسير:٧/٣٥٧٠ .

(٩) سورة الانعام: من الاية ١٢٤.

الصَّغَار هنا الذل والهوان والضَّعة، أن الله عاقبهم بالصغار (الذل) لأنهم استكبروا عن اتباع الرسل واستهانوا بآيات الله.

يُؤصل الطبري لقاعدة أن "الجزاء من جنس العمل"؛ فمن استكبر في الدنيا بالوقوع في الذنوب (وإن بدت له صغيرة أو هينة) مُجازاةً لنفسه، جازاه الله بـــ "الصَّغار" يوم القيامة وخطورة صغائر الذنوب هنا تكمن في أنها "بريد الكبر"، والكبر يورث الصَّغار . (١)

المبحث الثاني

موضوعات الصغائر في القرآن الكريم وخطورتها على الأفراد والمجتمعات

المطلب الأول: موضوعات الصغائر في القرآن الكريم

لقد جاء في القرآن الكريم موضوعات عدة تضمنتها آيات صغار الذنوب وأهمها:

١. **الخطأ والنسيان**: كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥ ﴾ (٢) وكقوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)). (٣)

ولا شك أن ترك التكفير أسلم والخطأ في العفو خيرٌ من الخطأ في العقوبة، فالله تعالى لا يؤاخذ العبد على الخطأ والنسيان والاستكراه لهذه الآية والحديث، وقوله: ﴿ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥ ﴾ (٤) . أي أن الله يغفر الذنوب ويرحم المذنب إذا كان مخطأ أو ناسياً أو مستكرهاً. (٥)

ونحن البشر غير معصومين من الخطأ والزلل والنسيان، أما الأولياء والصالحون فإنهم يخافون من الصغائر كما يخافون من الكبائر.

٢. **اجتناب الكبائر**: كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ ﴾ (٦) والفواحش: جمع فاحشة وهي: ما تناهى قُبحهُ وشناعته، (إلا اللمم): واللمم هي الصغائر، ثم قال (إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ)، فالصغائر تكفر بمكفرات عديدة منها:

---

(١) ينظر: جامع البيان:٣٥/٨ .

(٢) سورة الاحزاب / الآية ٥.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب: ٣/ ٢٠٠، حديث رقم (٢٠٤٥).

(٤) سورة الأحزاب: من الاية ٥.

(٥) ينظر: مفاتح الغيب: للإمام الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١، ١٤٢١ه: ١٥٦/٢٥.

(٦) سورة النجم / من الآية ٣٢ .

الصلوات الخمس، والمصائب، والأسقام، والآلام والهموم، وموت الأقارب، والعمل الصالح، والصبر، حتى الشوكة يشاكها المسلم مكفرات للصغائر، وهذا من فضل الله عز و جل كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾[١]، فالكبائر كما بينا سابقاً كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو لعنة أو عذاب، ومن الكبائر الأصرار على ارتكاب الصغائر بحيث تغلب معاصيه طاعته، وإذا تحقق اجتناب الكبائر فذلك لا يعني الإصرار على الصغائر وعدم التوبة منها إذ إن ذلك يجعلها كالكبيرة ويمنع من تكفيرها بالطاعات ويحول دون مغفرة الله للعبد.[٢]

٣. **تقوى الله تعالى**: كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾. [٣]

وقد ذكر الطبري في تفسيره لهذه الآية إن الذين صدقوا الله ورسوله بتقوى الله تعالى وطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه وترك خيانته وخيانة رسوله (صلى الله عليه وسلم) يجعل لكم فضلاً وفرقاً بين الحق والباطل وينصركم على عدوكم، ويمحوا ما سلف من ذنوبكم، ولا يؤاخذكم بها، والله ذو الفضل العظيم بفعله وفعل أمثاله جزاء لعبده على طاعته.[٤].

وقال الواحدي:إن تتقوا الله باجتناب الخيانة في ما ذكر، يفرق بينكم وبين ما تخافون فتنجون ويمحو عنكم في ما سلف من ذنوبكم، ولا يمنعكم ما وعدكم على طاعته من الفضل العظيم . [٥]

وعندما نستقرئ آيات التقوى في القرآن الكريم نجد أنها تصاحب الايمان الصحيح، فلا تتحقق التقوى الا بوجود الايمان الصادق كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ

---

(١) سورة الشورى / الاية ٠٣٧

(٢) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر: للإمام ابن حجر الهيتمي: ٢/ ٣٥٦.

(٣) سورة الأنفال / الآية ٢٩ .

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن / للطبري، مكتبة البابي الحلبي، مصر ١٣٧١ هـ - ١٩٥١م: ٤٨٧/١٣. ٤٨٧/١٣.

(٥) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / للواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق. صفوان عدنان الداوودي، دار القلم، دمشق بيروت، ١٤١٥هـ: ١/ ٤٣٧ .

ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [١]، فالتقوى بكل عمل وقوله ومقال يذهب بنا إلى شاطئ الأمان والفوز بالدارين. [٢]

٤. **غض البصر**: في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ ﴾ [٣]

فالنظر إلى محارم الله تعالى سهمٌ من سهام إبليس، إذ إنها تزرع في القلب شهوة زنا النظر، ولذلك قال تعالى " ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ » وأطهر لكم من الريبة وأحفظ لكم ولإيمانكم، وكذا الحال في النساء فإنهن يجب أن يغضضن أبصارهن عن الحرام كما الرجال، لأن النظر إلى الحرام سهم مسموم ينزل على قلوب العباد، وهو امتحان عظيم للرجل والمرأة . ليميز بين القوي والضعيف منهما . [٤]

وقد جاء في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام: ((إياكم والجلوسَ بالطرقاتِ . قالوا: يا رسولَ اللهِ، ما بُدٌّ لنا من مجالسِنا نتحدثُ فيها، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إن أبيتم فأعطوا الطريقَ حقَّه . قالوا: وما حقُّ الطريقِ يا رسولَ اللهِ؟ قال: غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلامِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ..))[٥] فلو لم يكن النظر سهماً مسموماً لما نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عنه محذراً المؤمنين والمؤمنات من ذلك الأمر، وقد شدد المتقون في غض البصر لذلك جعلها الرسول أول وصية لمن يجلس في الطرقات. [٦]

٥. **عدم توقير النبي (عليه الصلاة والسلام) :** في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ

---

(١) سورة ال عمران / الآية ١٠٢ .

(٢) ينظر: طريقك إلى تقوية ايمانك: أسماء بنت راشد الروشيد، المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات، بالربوة: ص٨.

(٣) سورة النور / من الآية ٣٠-٣١ .

(٤) ينظر: بحر العلوم: لأبي الليث السمرقندي، (ت ٣٧٣ه) تحقيق: دكتور محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت: ٥٠٨/٢.

(٥)صحيح البخاري،كتاب المظالم والغصب،باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات، رقم (٢٤٦٥):١٣٢/٣

(٦) ينظر: البحر المحيط:لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ه)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت لبنان ٣٦٩/٦.

لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [١]

فمن آداب المسلم أن يحترم الصغير الكبير ويوقره فاذا كان هذا حال المسلم مع أخيه المسلم فكيف برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فمن باب أولى أن يحترم المسلم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويوقره، واذا ذُكر اسمه (عليه الصلاة والسلام) يصلى ويسلم عليه تسليما، ومن مظاهر آداب المسلم مع رسول الله (عليه الصلاة والسلام) أن لا يرفع صوته فوق صوت النبي، ولا يجهر بصوته على صوت النبي(عليه الصلاة والسلام)، مثلما يجهر أحدنا بصوته على صوت الآخر .

لأن ذلك محبطة للأعمال الصالحة أيما إحباط، فالذين بغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى فرزقهم الله من جراء غض الصوت مغفرة واجراً عظيماً. فعن ثابت بن قيس قال: لما نزلت (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) قال: يا نبي الله، لقد خشيت أن أكون قد هلكت، فنهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك، وأنا امرؤ جهير الصوت، ونهى الله المرء أن يحمد بما لم يفعل، وأجدني أحب الحمد، ونهى الله عن الخيلاء، وأجدني أحب الجمال، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟) فعاش حميداً وقتل شهيداً يوم مسيلمة. [٢]

المطلب الثاني: أسباب الإصرار على ارتكاب الذنوب الكبائر والصغائر

إن الصغائر قد تكبر بأسباب عدة، منها :

- الإصرار والاستمرار على صغيرة من الصغائر، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((لا صغيرةَ مع الإصرارِ، ولا كبيرةَ مع الاستِغفارِ)) [٣] فقد تغفر الكبائر اذا استغفر العبد منها، ولا تغفر الصغائر مع الأصرار عليها ولم يستغفر العبد منها، فتكون الكبيرة حينئذٍ أرجى من الصغيرة.

---

(١) سورة الحجرات / الآيات: ١ – ٤ .

(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني/ لعبد الرزاق بن همام اليماني الصنعاني (ت٢١١ه) دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٩ه، رقم الحديث (٢٩٣٥)، ٢١٩/٣.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((التوبة)) (١٧٣)، والقضاعي في ((مسند الشهاب)) (٨٥٣) باختلاف يسير، والحارث كما في ((بغية الباحث)) (٢٠٥) في أثناء حديث طويل.

ومثال ذلك: قطرة الماء التي تقع على الحجر باستمرار فإن الماء سيؤثر على الحجر لا محالة[١]، ولذلك قال الرسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أدْوَمُها و إن قَلَّ)). [٢]

- استصغار الذنب، لأن العبد إذا استصغر الذنب فإن ذلك يوجب ظلمة القلب وتسويده بالسيئات، أما إذا كان العبد في غفلة او نسيان، فأنه لا يتأثر بما يجري في الغفلة[٣] ولذلك ذكر النبي: (صلى الله عليه وسلم) بأن (المؤمن: يرى ذنبه كالجبل يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب على أنفه فأطاره) [٤]
- التبجح والفرح بالصغيرة والاستخفاف بها فهي من أكبر اسباب الشقاء فأن العبد اذا غلبت علية الطاعة في قلبه ويحاسب نفسة على الذنوب وجد حلاوة الايمان، أما إذا تبجح بها وفرح بمقارفتها فانه يخرج من حلاوة الايمان، و حينئذ يظهر الشيطانُ بهِ ويزين المعاصي في قلبه. [٥]
- التهاون بالذنوب والمعاصي لدرجة الغفلة عن ستر الله وامهاله اياه، ولا يعلم بأن الله سبحانه وتعالى قد يمهل ولا يهمل، وقد يمهله ليزاد أثماً، فيظن العبد أن وقوعهُ في الذنب وعدم مأخذة الله إياه عناية من الله لهُ، فيكون بهذا قد آمن مكر الله تعالى وأخذه الغرور بالله تعالى، وكما قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨ ﴾[٦].
- من يتباهى بإظهار الذنب بعد أن ستره الله تعالى عليه فينكره تباهياً بعد إتيانه، ونسي أن الله تبارك وتعالى لا يغفرها له وإن كانت صغيره،لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((كل أمتي معافى إلا المجاهرين))[٧]، فإظهار الذنب كفران لنعمة ستر الله تعالى له، قال بعض السلف: "ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه" . [٨]

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين / للإمام الغزالي، دار المعرفة – بيروت: ٤ / ٣٢ .

(٢) آداب الصحبة / لأبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق: مجدي فتحي السيدار الصحابة للتراث، مصر، ط١، ١٩٩٠م، ١٩٩٠م، رقم الحديث (٤٦)، ٦٠/١.

(٣) إحياء علوم الدين: ٣٢/٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، رقم الحديث:(٥٩٤٩): ٣٢٤/٥ .

(٥) ينظر: إحياء علوم الدين ٤/ ٣٢-٣٣.

(٦) سورة المجادلة / الآية ٥٨.

(٧) رواه الإمام البخاري في صحيحه رقم الحديث ٥٧٢١، ٢٢٥٤/٥، ورواه الإمام مسلم في صحيحه رقم الحديث (٢٩٩٠): ٢٢٩١/٤.

(٨) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٣.

- أن تكون الصغيرة صادرة من عالم يُقتدى به، بحيث إذا فعلها كبر ذنبه كلبس الحرير، وتردده على السلاطين ومساعدته إياهم بترك الأمر بالمعروف والنهي على المنكر، وإطلاق اللسان في الأعراض، وتعديه في اللسان بالمناظرة، والاستخفاف بالناس وازدرائهم، والاشتغال بعلوم لا فائدة فيها من الجدل والمراء الذي لا يريد به الحق، وإنما يقصد بذلك الرياء ونظرة العامه إليه، فيسقط العالم حينئذ من نظر الناس اليه ثم من نظر الله تعالى من باب أولى، ومن السنة قوله عليه الصلاة: (من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من يعمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا) [١]، وفي القرآن قوله تبارك وتعالى:﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾[٢]،وقد حذر ابن عباس رضي رضي الله عنه العالم من الابتلاع ؛فأنه بذلك يزل زلة ثم يرجع عنها فيأخذها الناس عنه ولا يعلموا أنه قد تاب منها الآن أن يخبرهم بالتوبة منها، فزلة العالم تعد كانكسار السفينة التي تغرق وتغرق اهلها.[٣]

المطلب الثالث: خطورة الذنوب على الأفراد والمجتمعات

أولا: خطورتها على الأفراد:

١. خاتمة السوء:

بعض الناس قد يعمل اعمالاً سيئة ويفعل ذنوباً عظيمة لها أثرها الكبير في سوء الخاتمة، فقد وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالنجاة من العذاب في الآخرة، كما توعد المقصرين الذين يعملون الذنوب والسيئات ولم يتوبوا منها قبل الموت باستحقاق العذاب يوم القيامة، قال تعالى:﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ .[٤]

فقد ابتلى الله سبحانه وتعالى الأمم الغابرة بالنعيم في الدنيا وابتلاهم بالشدائد فلم يتعظوا منها.[٥]

٢. اتباع خطوات الشيطان:

العداوة بين الشيطان والإنسان عداوة قديمة منذ خلق آدم، حيث أمر الله تبارك وتعالى ملائكته بالسجود لآدم فسجدوا لأمر الله تبارك وتعالى، أما الشيطان فقد آبى واستكبر ولم يسجد لأمر الله تعالى

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر، بيروت رقم الحديث (٢٠٣)، ١/ ٠٧٤

(٢) سورة يس، من الآية ١٢.

(٣) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٣-٣٤.

(٤) سورة الأنعام / الآية ٠٤٤

(٥) ينظر: زهرة التفاسير: لأبي زهرة، دار الفكر العربي ٢٥٠٠/٥، والتفسير الوسيط للقرآن: لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م: ٧٤/٥.

فكان بهذا خارجاً عن رحمته سبحانه وتعالى لعصيانه وتكبره، فقد قال جل ذكره: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[١] ، وقد رد الله تعالى على قول ابليس لمعارضته لله عز وجل:﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[٢] أى: أن عبادي ليس لك عليهم حجة بسبب طاعتهم لله إلا من اتبعك على ما دعوته اليه من الظلالة[٣]، فهذه نتيجة الكبائر، أما الاستمرار على الصغائر تؤدي إلى نفس الغرض، فالإصرار على الصغائر يصيّرها كبائر.

٣. **التعرض لغضب الله تعالى:**

يسعى المسلم في الحياة الدنيا دائماً إلى رضا الله تعالى، ولا ريب بأن غضب الله سبحانه وتعالى له أسباب، منها: ارتكاب الذنوب والمعاصي والاصرار على الصغائر، فقد قال عزوجل: ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ للإباحة وليس للوجوب، وخص الطيبات بالذكر لأن الرزق منه ما هو طيب،ومنه غير ذلك.

أما قوله عزوجل: ﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ ﴾ ففيه وجوه:

الوجه الأول: إن الله سبحانه وتعالى عادلُ لا يظلم أحداً فلا يريد من عباده ظلم أحدهم الأخر، فيأخذ أحدهم الحق من صاحبه بغير حق.

الوجه الثاني: لا تظلموا فيه أنفسكم بأن تتجاوزوا حد الإباحة كالإسراف والبطر ومنع الصدقات.

الوجه الثالث: لا تستعينوا بنعمتي على مخالفة أمري، فتعدلوا عن الحلال إلى الحرام .[٥]

ويمكننا إجمال ذلك بأن تقول: –

- عدم القنوت من رحمة الله عز وجل.

---

(١) سورة الحجر / الآية ٤٢.

(٢) سورة الحجر / الآية ٣٩–٤٠.

(٣) ينظر: جامع البيان ١٠٥/١٧.

(٤) سورة طه / الآية ٨١.

(٥) مفاتيح الغيب / للإمام الرازي ٢٢/ ٨٣.

- تحريم الإسراف وكفر النعمة
- الطغيان والتعالي والتكبر بالنعم. (١)

٤. حصول الغم والحزن والضيق:

من أسباب الهم والغم والحزن والضيق هي: ارتكاب السيئات والأثام والإصرار على الصغائر، قال عزوجل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾(٢)، فقوله تعالى (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي) فيه معانٍ عدة، منها:

أ- الغفلة عن القرآن الكريم.

ب-الغفلة عن توحيد الله سبحانه وتعالى والإيمان بهِ وبرسوله (عليه الصلاة والسلام)

ج-الابتعاد عن الهداية والطاعة والقرب من الضلال .

والمعنى: أنه ينبغي في المؤمن الأنقياد لأمر الله تعالى والرضا بما عنده؛ أما العاصي لازال يطمح بالازدياد من الدنيا ويقبض يده عن الانفاق، فهو في ضنك وشدة(٣)، فقد قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (٤)، فلا يغفل عبدٌ عن ذكر الله الا وقد أظلم عليه قلبه وتنغص عليه رزقه.(٥)

٥. حرمان الرزق الحلال:

إن الذنوب والمعاصي والأصرار على الصغائر هي سبب كل عناء وشقاء، وأن كل ما يصيب الناس من ضر، إنما هو بسبب ذنوبهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ

---

(١) ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية: لنعمة الله النخجواني، دار الركابي للنشر، مصر، ط١، ١٩٩٩م: ٧٨/١.

(٢) سورة طه / الآية ٨١.

(٣) ينظر: تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، جمعه: الفيروزابادي، دار الكتب العلمية،لبنان،ص ٢٦٧، والتفسير الوسيط ١٠٧٧/٦، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: الإمام البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدى، دار إحياء التراث العربية بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ: ٢٧٨/٢

(٤) سورة النحل، الآية ٩٧.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل / للإمام الزمخشري التحقيق: عبد الرزاق المصرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٣ / ٩٥.

وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [١] . لما أمر الله نبيه ابراهيم عليه السلام بعبادته وطاعته، قال على لسانه: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٢]، فأنه نفى العلم عنهم برزق الله تعالى وتصوروا إن الرزق يأتيهم من الأوثان، إذ قال تعالى على لسانه: ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[٣] أي: إنما تسجدون لأوثان من دون الله، هي في الحقيقة تماثيل مصنوعه بأيديكم ليس فيها تنفع ولا ضر. [٤]

وقد ورد وجهان لمعنى هذا القول الإلهي:

الوجه الأول: اي تخلقون كذباً في زعمكم أنها آلهة .

الوجه الثاني: أي تسجدون لأوثانٍ أنتم تصنعونها . [٥]

والخلاصة:

١. إن هذه الاصنام انما صنعت بأيدىكم فهي مخلوقة، والمخلوق لا يستحق العبادة، بل لا يستحق العبادة بحق إلا الله سبحانه وتعالى . [٦]

٢. إن الرزق بيد الخالق وحده سبحانه وتعالى. [٧]

---

(١) سورة العنكبوت / الآية ٠١٧

(٢) سورة العنكبوت / الآية ٠١٦

(٣) سورة العنكبوت / الآية ٠١٧

(٤)ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٣٤/٧، وفتح البيان في مقاصد القرآن: لمحمد صديق خان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، لبنان، ١٩٩٢م: ١٠ /١٧٦.

(٥) ينظر: زاد المسير في التفسير: لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المصري،دار الكتاب العربي، بيروت ط١، ٤٠٣/٣.

(٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان: لعبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٠م: ص ٦٢٨.

(٧) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه،: ١٤٢٢ه،: ٣١١/٤.

٣. ينبغي أن يطلب النعيم والرزق من الله تبارك وتعالى وحده فأنه الرزاق لا يطلب ألا منه وحده الخير والنعيم . (١)

٦. موتُ القلب وقسوته:

من أخطر آثار الذنوب والمعاصي والاستمرار كبيرة أم صغيرة على الأفراد، لأنها تقسّي القلب وتميتهُ، حتى يصبح المجاهرون بها هم المفاخرون بارتكابها، وكما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾(٢)، فقد ذكرت الآيات رداً على المشركين وعبادتهم الأصنام وغرورهم بملذات الدنيا وكفرهم بالقرآن الكريم، وكما قال الله تبارك وتعالى:﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ (٣)

وفي هذا بيان من الله تعالى بما أفضى بهم إلى هذا القول وذلك لأنه غلب عليهم المعاصي وانغماسهم فيها، حتى صدئت قلوبهم، فعموا وصموا عن معرفت الحق والباطل . (٤)

وفي هذا الصدد: يقول رسول الله (عليه الصلاة والسلام): ((نَّ العبدَ إذا أخطأَ خطيئةً نُكِتت في قلبِهِ نُكْتةٌ سوداءُ، فإذا هوَ نزعَ واستَغفرَ وتابَ سُقِلَ قلبُهُ، وإن عادَ زيدَ فيها حتَّى تعلوَ قلبَهُ، وَهوَ الرَّانُ الَّذي ذَكَرَ اللَّه كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (٥)

ويمكننا في ضوء ذلك كله أن نستنتج ما يأتي(٦):

١. التحذير من الاستمرار على المعاصي، وعدم الرجوع منها، لأنها تؤدي بالإنسان إلى حرمان التوبة.

٢. إن كثرة الذنوب والمعاصي تغطي القلوب بالران الذي يحدث بسبب الذنوب وتراكمها.

٣. إن مجيء لفظة (يكسبون) بالمضارع دون الماضي دليل على تكرار الذنوب، أي: ما كسبوه في أعمارهم من الشرك والكفر المخالفة للشرائع السماوية السالفة والمخالفة لدين الإسلام.

---

(١) ينظر: تفسير المراغي: لأحمد بن مصطفى المراغي،شركة ومطبقة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥: ٢٠/ ١٢٥.

(٢) سورة المطففين، الآيتان ١٤-١٥.

(٣) سورة المطففين الآية ١٣.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل / للإمام البيضاوي،تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ٥/ ٢٩٥.

(٥) رواه الترمذي في سننه، رقم الحديث: (٣٣٣٤)، ٤٣٤/٥.

(٦) ينظر: التفسير المنير: لوهبه الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٣، ١٤١٨هـ: ١٢٣/٣٠.

ثانيا: خطورتها على المجتمعات

للذنوب آثار خطيرة على المجتمعات، إذ تُعدُّ سبباً في تفككها وتفرقها واختلافها وتمزقها، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾[١] فقد بينت الآية قدرة الله تعالى على وقوع الشدة بالعبد بما كسبت أيديهم من جراء الذنوب والمعاصي.

ولتبيين لنا وجوهاً أربع يمكن أن يرد بها العذاب، وهي: [٢]

الوجه الأول: إن وقوع العذاب من فوق كالصيحة والمطر الشديد والريح العاتية والقذف بالحجارة كما حصل لقوم لوط (عليه السلام) وقد يكون من فوقهم من قبل امرائهم وأئمتهم.

الوجه الثاني: العذاب من تحت الأرجل: كالطوفان والغرق وخسف الأرض كما حصل لقارون، وقد يكون من سفلتهم عبيد السوء.

الوجه الثالث: اختلافهم وتفرقكم وأهواؤكم المختلفة حتى تكونوا شيعاً، أي: فرقاً مختلفين يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق.

الوجه الرابع: يقتل بعضكم بعض بسبب الفرقة واختلاف الأهواء.

و سبب نزول هذه الآية فعن جابر ابن عبد الله قال: (لما نزلت هذه الآية ...، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أعوذ بوجهك ... ولما وصل إلى قوله تعالى: (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ) قال: هذا أهون أو هذا أيسر) [٣] .

وقد يستفاد من هذه الآية ما يأتي:

١. إن قدرة الله تعالى شاملة لجانبي الرحمة والعذاب في المسلمين والكافرين.
٢. لا منجي من الشدائد والكروب إلا الله .
٣. التحذير من التفرق والاختلاف والانقسام، لأنه هذه الأمور تؤدي إلى تفرقة الأمة وتمزيقها وإضعافها .[٤]

---

(١) سورة الأنعام / الآية ٦٥.

(٢) ينظر: زاد المسير ٢/ ٤٠، وأنوار التنزيل ٢/ ١٦٢.

(٣) رواة البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٤٦٢٨): ٥٦/٦ .

(٤) التفسير المنير: ٧/ ٢٤٤.

و من خطورة الذنوب أيضاً أنها سببٌ كبيرٌ بإزالة النعم وحلول النقم، فقد قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[١]

وقد جاء كلام الله تعالى بالمثل في الفعل الماضي لأنه يؤدي الى الانتباه والتشويق الى الابتعاد عن ضررها الفادح،وقد يكون بفعل الأمر بصيغة التنويه ايضاً. [٢]

ولما كانت النعم العظيمة في الغالب تقضي إلى البطر، فقد نبه سبحانه وتعالى لذلك فقد قال عزوجل (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ) وهنا وجهان للمعاني . [٣]

الوجه الأول: أي ترك الشكر والطاعة.

الوجه الثاني: أن يؤدوا حق المال لذوي الحاجات من الفقراء والمساكين وغيرهم من المحتاجين.

والخلاصة من ذلك كله ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إن هذا الوعيد قد يحصل لهم في الدنيا كما يحصل الوعيد للكفار في الآخرة.[٤]

الأمر الثاني: المثل على القرية قد تكون موجودة أو يحتمل أن تكون غير موجودة. ويحتمل أن تكون مكة أو غيرها . [٥]

الامر الثالث: أعطت هذه الآية درساً بليغاً لنا جميعاً من أجل العبرة والعظة والاتعاض، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في أسلوبه الدعوي . [٦]

---

(١) سورة النمل: الآية ١١٢.

(٢) ينظر: تفسير المراغي: ١٤ / ١٥٠ .

(٣) ينظر: النكت والعيون: للماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصور عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ٣ / ٢٧٨ .

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٧٨/٢٠.

(٥) ينظر: التقسيم الكبير ٢٠ / ٢٧٨.

(٦) ينظر: الخواطر: للإمام الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ١٣/ ٨٢٤٧.

خاتمة ونتائج البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبفضله ومنته -سبحانه وتعالى- يمكننا أن نوجز أهم ما خلصنا إليه من نتائج، وكما يأتي:

١. تقسم الذنوب إلى كبائر وصغائر، فالكبائر هي ما يترتب عليها وعيد في الآخرة، أما الصغائر فهي الذنوب التي يغفرها الله تعالى بالاستغفار والتوبة من دون إصرار، وللصغائر ألفاظ ذات صلة بها، وهي: اللمم والخطيئة والمعصية والسيئة والأثم والخطأ والنسيان.

٢. آيات الصغائر ليست منحصرة بعدد معين ولكن العلماء استنبطوا بعضا منها، ومشتقاتها في القرآن الكريم هي: صاغرون، صاغرين، صغير، صغيراً، صغيرة، أصغر، صغار، وموضوعاتها تشمل الخطأ والنسيان، اجتناب الكبائر، التقوى، غض البصر، توقير النبي (صلى الله عليه وسلم).

٣. أسباب الإصرار على الذنوب والصغائر هي: الاستمرار عليها، استصغار الذنب، التبجح بالصغير، والفرح بهاء،التهاون بستر الله له، التباهي بها، و صدور الذنب من عالم .

٤. للصغائر خطورة على الأفراد والمجتمعات إذا اصروا عليها، كسوء الخاتمة، اتباع الشيطان، التعرض لغضب الله، حرمان الرزق، موت القلب، اختلاف الأمة وتفريقها، وازالة النعم وحلول النقم.

وختاماً نسأل الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إحياء علوم الدين / للإمام الغزالي، دار المعرفة –بيروت، (د.ت) .

٢. آداب الصحبة / لابي عبد الرحمن السلمي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، مصر، ط١، ١٩٩٠م .

٣. إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم/ لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل / للإمام البيضاوي،تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ .

٥. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: قاسم بن عبد الله القونوي الرومي الحنفي (ت ٩٧٨هـ) تحقيق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤ م – ١٤٢٤ هـ.

٦. بحر العلوم: لأبي الليث السمرقندي، (ت ٣٧٣هـ) تحقيق: دكتور محمود مطرحي، دار الفكر، بيروت .

٧. البحر المحيط:لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت لبنان.

٨. تاج العروس من جواهر القاموس / لمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية .

٩. تفسير المراغي: لأحمد بن مصطفى المراغي،شركة ومطبقة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ه.

١٠. التفسير المنير: لوهبه الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٣، ١٤١٨هـ .

١١. التفسير الوسيط للقرآن: لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م .

١٢. تفسير عبد الرزاق الصنعاني/ لعبد الرزاق بن همام اليماني الصنعاني (ت٢١١هـ) دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤١هـ.

١٣. تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، جمعة: الفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، لبنان

١٤. التوقيف على مهمات التعاريف: عبد الرؤوف بن المناوي (٩٥٢ – ١٠٣١ هـ)المحقق: د.عبد الحميد صالح حمدان: عالم الكتب، القاهرة –مصر ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م .

١٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان: لعبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٣٠ هـ –٢٠٠٠م .

١٦. جامع البيان في تأويل آي القرآن / للطبري، مكتبة البابي الحلبي، مصر ١٣٧١هـ - ١٩٥١م.

١٧. الجامع الصحيح سنن الترمذي/ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت ١٩٩٨م.

١٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (ت:٢٥٦ هـ)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة -ط١- ١٤٢٢هـ .

١٩. الخواطر: للإمام الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م .

٢٠. زاد المسير في التفسير: لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المصري،دار الكتاب العربي، بيروت، ط١.

٢١. زهرة التفاسير: لمحمد أبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)، دار الفكر العربي، القاهرة،(د.ت)

٢٢. الزواجر عن اقتراف الكبائر: للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي (ت: ٩٧٤هـ)، تحقيق: محمد محمود الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

٢٣. المحقق: (تختلف حسب الدار، وأشهرها تحقيق: محمد محمود الشافعي أو لجنة من العلماء).

٢٤. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر، بيروت

٢٥. شرح العقيدة الطحاوية: أبي العز الدمشقي (ت ٧٩٢ه)، مؤسسة الرسالة، بيروت -لبنان، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٢٦. الصحاح تاج اللغة العربية: للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطاء، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٣٠٧ هـ -١٩٨٧م .

٢٧. صحيح المصطلحات والألفاظ الفقهية: الدكتور محمود عبد الرحمن، دار الفضيلة.

٢٨. طريقك إلى تقوية إيمانك: أسماء بنت راشد الروشيد، المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات، بالربوة.

٢٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.

٣٠. فتح البيان في مقاصد القرآن: لمحمد صديق خان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، لبنان، ١٩٧٢.

٣١. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية: لنعمة الله النخجواني، دار الركابي للنشر، مصر، ط١، ١٩٩٩م.

٣٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ للإمام الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المصرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٣٣. لسان العرب: لابن منظور(ت٧١١ه)، دار صادر، بيروت،،ط ٣، ١٤١٤هـ.

٣٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(صحيح مسلم)/ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن: الإمام البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدى ، دار إحياء التراث العربية بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ .

٣٧. معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عبد الحميد (ت ١٤٢٤ه) يساعده فريق عمل، عالم الكتب – ط١، ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م.

٣٨. المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية بالقاهرة أحمد الزيات حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٢ه– ١٩٧٢م.

٣٩. مفاتح الغيب: للإمام الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ.

٤٠. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة من وزارة الأوقاف الكويتية، مطابع دار الصفوة

٤١. النكت والعيون: للماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصور عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

٤٢. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / للواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق. صفوان عدنان الداوودي، دار النشر: دار القلم، دمشق بيروت، ١٤١٥هـ.